هائم، أما تلمحت أبصار البصاير ما إليه الأمر صاير، كيف آثرتم الرذايل
على المفاخر، إن عين اللبيب ترى الآخر، يا مشتت الفهم في تشرش
طبعه، يا معرضا عن العاذل الباذل نصحه لبردعه، لو فتحت أجفان الجنا
عاد رمض الجهالة جفا، ولو لزمت الطبيب لوصف لك شفاها شفا،
أما أنت راحل عن قريب، وساكن بيتا أنت فيه غريب، فحل عما لقالد
وانطلق في طلابها، وأقلع عن باطلها وأعمل في مرابها، وحصل للفنا كفنا
من العمل، وأمل ذكر الموت على سمعك الأمل، واتخذ راحلة تشد عليها
رحل الرحيل، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وتذكر أخلاها
كيف غلقت منهم، وتلمح كيف مواصليها انفصلت عنهم، وأعلم جوارحك
بقرب التمزق، وحدث أعضاك خبر التمزق، وقف في ساحة الفكر
بأقدام السغط، ونادي نادي الأسى بلسان التأسف، وابك على نفسك قبل
أن يبكي الغير، ولكن حل أسفك على حرمان الخير، شعر

يقولون قبل البين عينك تدمع، دعوا مقلة تدري غدا من تودع
ترى بالنوى الأمر الذي لا ترونه، هوى يقولون الذي ليس تسمع
ودون انصداع الشمل لو تسمعونه، أنين حصاة القلب منه تصدع

كانت رابعة تقول لنفسها إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب
بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل، وكانت رابعة تبكي

حتى

حتى يسمع وقع دموعها على البواري وكان في بيتها كراخة بواري
ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين وستر
البيت جلة أو بارية وحب وكوز ولبد هو فراشها ومصلاها وكا ت
لها مشجب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وكان
موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها وكانت تقول أستغفر
الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله وقيل لها هل عملت عملا ترين
أنه يقبل منك فقالت إن كان فخوفي أن يرد علي وكان سفين
يقول هلموا إلى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها
فدخل عليها يوما فقال واحزناه فقالت لا تكذب قل واقلة حزناه
لو كنت محزونا ما هناك العيش أخبرنا إسمعيل بن أحمد قال أخبرنا
محمد بن هبة الله الطبري قال أخبرنا الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر
القرشي قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني عبيس بن مرحوم قال
حدثتني عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء الله تخدم رابعة
قالت كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها
هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من
مرقدها ذلك وهي فزعة يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك
أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور قالت فكان هذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)